مشاكل الأرملة وحلولها في ضوء السيرة النبوية

Problems of Widow and Their Solutions In the Light of Seerah of Prophet S.A.W

زين العابدين[i] د. ضياء الرحمن[ii]

Abstract

Woman is half of our society. Progress and prosperity in her life lead to the overall progress and prosperity of our society. Similarly, backwardness and calamities in her life affect the whole society negatively. That's why too much attention is given to enhance women's empowerment and their leading role in any institution is popularly appreciated. However, being a wife when her husband dies and becomes a widow, that is a crucial stage when she faces numerous problems including social, psychological and financial. And this is a stage of life when she needs much care and much attention from all those who are dear and near to her. In such cases, if widow is treated well and dealt with good intentions, she can prove to be a good contributor to the society as much as to her family and her orphan kids, and if she is not given proper attention and due care, she can harm the society and give her family and kids an irreparable damage. So it is up to the society and the nearby people to be kind and affectionate towards her especially in this hard and cruel stage of loneliness so that she could perform well and get up to the life ahead. This article elaborates problems of widows in a Muslim society. It is basically divided into three sub-chapters in the following way:

1. *Importance Given to Widows in Islamic Shari'ah*
2. *Problems Faced by Widows are of three types:*
   a) Social Problems b). Psychological Problems c). Financial Problems
3. *Solutions to those Problems Faced by Widows as following:*
   a). Solutions to Social Problems, b). Solutions to Psychological Problems, c). Solutions to Financial Problems

Key words: *Widows, social, Financial, Psychological, Problems, Solutions.*

المقدّمة

المرأة نصف المجتمع؛ النموّ والتحسّن في حالتها تُضيف إلى استقرار المجتمع كما يُسبّب في تخلف المجتمع وتنزّله استياءُ حالتها، والمجتمع يتطور ويتقدم بمشاركة المرأة في شتى المجالات كما يمشي نحو التقدم بمشاركة الرجل فهي ركن أساسي ولا بد من مشاركتها في الأعمال مع الرجل جنبا إلى جنب، لكنها تواجه ما تواجه من مشاكل وصعوبات غير متناهية عندما تفقد زوجها وتبقى وحيدة لتواجه المسؤليات كلها على أكتافها، مما يؤدي إلى حياة لا يمكن للمرأة أن تتحملها. لكن الدين الحنيف قد اهتم بهذه القضية منذ بزوغ فجره الأول كغيرها من القضايا الإسلامية ونَظَرَ للمرأة نظرة منصفة وبين أن لها حقوقا تستحقها بعد حصول الترمل.

[i]ـ محاضر بقسم اللغة العربية الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام اباد- باكستان

[ii]ـ محاضر بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة بينظير بتهو شرينكل

وهذا البحث يذكر لنا أولا الصعوبات التي تواجهها الأرملة ثم يذكر حلولها وفق الشريعة الإسلامية وما يمليه الحال. و وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاهتمام بالأرملة في الشريعة الإسلامية

المبحث الثاني: المشاكل التي تواجهها الأرملة

المبحث الثالث: حلول المشاكل التي تواجهها الأرملة

المبحث الأول: الاهتمام بالأرملة في الشريعة الإسلامية

الأرملة هي المرأة التي قدّر الله لها أن تَفْقِدَ زوجها الذي كان عوناً وسندًا لها في حياتها المادّيّة والمعنوية، وهي كانت تُعوّل عليه، يقول ابن منظور منقولا عن ابن الأنباري: "الأرملة التي مات عنها زوجها"[1]، فحياتها تنقلب كلها رأسا على العقب فإنها تبقى على قيد الحياة بلا روح وبلا حياة بمعنى الكلمة فالمشاهَدُ في المجتمع هو أن المرأة عندما يموت زوجُها تبقى وحيدة لنفسها وتواجه المأساة والمضرات ومسؤوليتها القاسية تجاه نفسها وعفّتها وتجاه أولادها لا سيّما إذا كانوا صغارا أو في مقتبل العمر بالإضافة إلى ما تُواجه من المعاناة في المجتمع الذي يُحصِي عليها أنفاسها وحركاتها.

لكنّ الإسلام له موقف آخر مختلف تماما عما يُوجد من تعامل سيئ كهذا تجاه الأرملة في أي مجتمع عار عن تعاليم الشريعة الغراء، فنظرة الإسلام نظرة كرمٍ ولطفٍ وتراحمٍ؛ وبعض أزواج النبي- عليه أفضل الصلوات والتسليم- كنّ أرامل كالسيدة خديجة بنت خويلد، والسيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية- رضي الله عنهما- وغيرهما، أو مطلقة كالسيدة زينب بنت جحش- رضي الله عنها- ابنة عمته أميمة ماعدا السيدة عائشة-رضي الله عنها- بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-، وهي الوحيدة التي تزوّجها النبيُّ عليه الصلاة والسلام بكرا مما يؤكد أن الإسلام يُكْرِمُ الأرْملةَ ويقدّرُها ويحثُّ على أحسن معاملتها التي يستحقُّها أيُّ فردٍ من المجتمع الإسلامي.

فأول امرأة تزوج بها النبي- صلى الله عليه وسلم- السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- كانت أرملة بعد وفاة زوجها الأول عتيق بن عائذ، وزوجها الثاني أبي هالة[2] وأم الأطفال من زوجين، وتزوج السيدة سودة بنت زمعة- رضي الله عنها- أرملة بعد وفاة السيدة خديجة وكذلك السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، والسيدة زينب بنت خزيمة، والسيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية، والسيدة جويرية بنت الحارث، والسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حييّ، وميمونة بنت حارث- رضي الله عنهن-.

كما وردت نماذج إقبال الصحابة رضوان الله عليهم على الزواج بالأرامل من الصحابيات، وعدم تردد الصحابيات على الزواج ثانيا وحتى ثالثا بعد الترمل، أو الطلاق، فعلى سبيل المثال السيدة أسماء بنت عميس- رضي الله عنها- كانت زوجة جعفر بن أبي طالب- رضي الله عنه-، وبعد شهادته تزوجها أبو بكر الصديق- رضي الله عنه-، وبعد وفاته تزوجها علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-. بينما تحكي السيدة فاطمة بنت قيس- رضي الله عنها- كما ورد في صحيح مسلم[3] أنه لما طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص، خطبها خُطّاب منهم: معاوية، وأبو الجُهيم، وأسامة بن زيد، فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بأسامة بن زيد- رضي الله عنه-.

ومن ناحية أخرى، كان من عادة النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه كان يسعى في قضاء حوائج الأرامل، روي عن عبد الله بن أبي أوفي- رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا يأنفُ أن يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجته."[4]وعن صفوان بن سليم قال- عليه الصلاة والسلام-: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل."[5]

فمساعدة الأرامل والمساكين من مسؤوليات المجمتع الإسلامي، وهذه المسؤولية الشاملة على أكتاف الجميع الذين يستطيعون ذلك، فمن رغب عن هذه المسؤولية سوف يرغب عنه الله- سبحانه وتعالى- يوم القيامة، كما قال النبي- عليه الصلاة والسلام-: "مَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ المسلمين شيئا فاحتجَبَ عن ضَعَفَةَ المسلمين احتَجَبَ اللهُ عنه يومَ القيامة"[6]. وعن أبي الدرداء عويمر- رضي الله عنه-، قال سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:"ابغُوني في ضعفائكم، فإنما تُنصرون وتُرزقون بضُعفائكم."[7]

والنبي- صلى الله عليه وسلم- كان من عادته زيارة الفقرآء والمساكين البائسين الذين كانوا بحاجة ماسّة إلى العون الشامل من المجتمع الإسلامي كما ذكره الحاكم في المستدرك وهو من عادات النبي- عليه الصلاة والسلام- أنه: "يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ"[8]

هذا لأن النجاح والسعادة القلبية والروحية والبركة والاطمئنان لا يحصل عليها المسلم إلا بالعطف على ضعفاء المسلمين والإحسان إليهم.

وهناك روايات أخرى كثيرة -من كلام أكرم الأكرمين- ترشد إلى حسن المعاملة مع الضعفاء والأرامل واليتامى وتحثّ المسلم الذي له سعة في المال أن يغتنم الفرصة ويقدّم لنفسه ما يكون أحوج إليه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله.

المبحث الثاني: المشاكل التي تواجهها الأرملة

أولا: المشاكل الاجتماعية

المشاكل الاجتماعية هي عبارة عن القضايا العصيبة التي تتكون من عدة مؤثرات في مجتمع بشري ما، وتمثل عقبة في سلوك السبل المؤدية إلى بر الأمان بين فئة بشرية اعتاد الإنسان على التكيف معها، والعيش في ظلال أكنافها[9]. والمشاكل التي توجهها المرأة الأرملة عديدة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: العدة، ومسكن العدة، ووضع الحمل إن كانت حاملا، والنفقة على النفس والأولاد، وتربيتهم تربية تدفعهم نحو المعالي، وتحافظ عليهم من الشرور والويلات المنتشرة في المجتمعات البشرية، إضافة إلى القيام بالأعمال التي لم تكن من واجباتها كي تبقى لها قائمة في المجتمع، وفيما يلي محاولة لتلخيص أهم هذه المشاكل التي تعاني منها الأرملة.

- ✓ **مسؤوليات اجتماعية**: المرأة بعد الحصول على الترمل تضطرّ لتواصل الحياة على جهتين؛ عليها أن تقوم بدور المرأة والرجل في الوقت نفسه، وبالتالي أن تكون أبًا وأمّا أمام أولادها الصغار اليتامى، وهذا مؤلم جدًا وفوق طاقة البشر...

- ✓ **تربية الأطفال**: تربية الأطفال تقتضي وتتطلّب دورَ الأب والأمّ سواء، فالأولاد يستمدون من أبيهم قوة العزيمة والصمود والمثابرة أمام المشاكل ويدرّبهم الأبُ بطريقة تُنشئ فيهم الرجولةَ ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة عواصف الحياة وتحمّلها، والأمّ توفّر لهم الحنان والرقّة والدعم المعنويّ الذي يفتقده الأطفال عموما عند الآباء، فعندما يموت الزوج، على الأم الأرملة أن تقوم بتربية الاطفال بهذا الشكل المعقّد...
- ✓ **اضطرارها للعمل**: بعد إكمال عدتها تضطر الأرملة لتخرج من البيت وتعمل في أي شركة أو إدارة لتحصل على لقمة العيش لكن المجتمع لا يتركها تعيش بأمان بل يحسب عليها أنشطتها وحتى أنفاسها مما يحوّل حياتها إلى الجحيم...

ثانيا: المشاكل الاقتصادية

هي عبارة عن المشكلات المتعلقة بالمال والاقتصاد عصب المجتمعات الإنسانية، وسر قوامها في هذه الحياة، وله أشكال متنوعة، وصور متنوعة.

فيما يلي إشارة إلى بعض المشاكل المالية التي تواجهها الأرملة:

- ✓ وفاة الزوج في أي مرحلة من الحياة الزوجية تشكل للمرأة مشكلة اقتصادية لا يمكن أن تتجاوزها المرأة بسهولة، فالمرأة لا تعمل عموما في المجتمعات الإسلامية في الخارج لتكسب لقمة العيش بل تعتمد كل الاعتماد على الزوج الذي يعتمد عليها في إدارة شؤون البيت فبفقدان الزوج تحدث الكارثة...
- ✓ بعد فقدان زوجها وانقطاع الموارد المالية تضطرّ الأرملة أن تتنازل عن معظم حقّها لا سيّما إذا اقتضى الحصولُ على حقها رسومًا عالية لرفع الدعوى في المحكمة.
- ✓ مشكلة إجراءات الميراث والمعاش من أكبر مشاكل التي تعجز المرأة عن فهمها لأن "بعض الأقارب كالعقارب" يطمعون في حقها وفي حق أطفالها الأيتام...
- ✓ يستغلُّ بعض الناس الضعفاء النفوس احتياج الأرملة واستياء حالتها الاقتصادية فتطالَبُبكثرة العمل لتحصل على قدر ضئيل من المال فلا تستطيع العيش ولا تستطيع أن تترك العمل...

ثالثا: المشاكل النفسية:

وهي عبارة عن المشاكل المؤثرة تأثيرا سلبيا على نفسية الأرملة بصورة مباشرة وغير مباشرة، وهي تتكون في معظم الأحيان عن الحالات والظروف المحيطة بالأرملة، وتؤدي في نهاية المطاف إلى اضطراب الأحاسيس والخواطر، وإلى تجريح المشاعر والعواطف لدى الأرملة.

يمكن أن أشير باختصار إلى ما تواجهه الأرملة من مشاكل نفسية فيما يلي:

- ✓ **الوحدة القاتلة**: بعد وفاة الزوج يلتفّ المجتمع حول الأرملة معزّيا ومواسيا لها في مصيبها ولكن لمدة ثلاثة أيام، وما أن تنتهي أيام العزاء والمواساة تبتعد الصديقات والجارات شيئا فشيئا حتى تجد نفسها وحيدة أمام عواصف الحياة وقسوتها تضطرّ لتواجه الوحدة التي لا يتحملها الإنسان وإن كان ثابت الأعصاب وقوي العزيمة.
- ✓ **الصراع العاطفي والنفسي**: المرأة بعد فقد زوجها تعاني من الحساسية العاطفية والنفسية بشكل مؤلم لا سيما إذا كانت في مُقْتَبَلِ العُمر لأنها تتألم مع أشياء تُذكّرها بزوجها الراحل وتعاني صراعا مشعرا بعدم الاستقرار العاطفي والنفسي.
- ✓ **القلق على المستقبل**: المرأة التي تفقد زوجها تفقد الأمل من تطبيق كل المخططات التي ترجو منها أن توفّر لها حياة آمنة مطمئنة لأن الزوج هو من كان يعمل في هذا والمرأة تصعب عليها وتعجز عموما أن تقوم بما يقوم به الرجل في أيّ مجتمع.

المبحث الثالث: حلول المشاكل التي تواجهها الأرملة

أولا: حلول المشاكل الاجتماعية

1. تثقيف المجتمع لحسن معاملة الأرامل

المجتمع الإسلامي بحاجة إلى مشروع إعلامي وصحفي لتثقيف المجتمع وتوعيته بهدف أن يغير النظرة السلبية المعارضة تجاه النساء الأرامل، علينا جميعا أن نصحح أفكار عامة الناس بأن الأرملة ليست سلبية ولا سيئة الخلق وليست عاجزة بل إنها تستطيع أن تقوم بأعمال كبيرة وتنجز مهمات شاقة قد لا تقوم بها الرجال فبدلا من نُعجزها ونستنزف قوتها وعزيمتها لتكون وبالا على الناس، من الأحسن أن نساعدها ونشجعها في مشاكلها ونثبّتها في حياتها عملا بقوله تعالى: يأيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اصْبرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ"[10].

وعملا بقول نبينا عليه سلام الله: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"[11] بهذا قد يأتي يوم تصبح فيه الأرملة قوة إيجابية للمجتمع فتقدّم خدمتها للدين والإسلام. وفي مقام آخر، النبي عليه السلام شجع المسلمين على دعم الفقرآء والمساكين حيث قال: "اطْلُبُوا الْأَيَادِي عِنْدَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[12]

2. مساعدة الأرملة بالتثقيف والتعليم

بدلا من تبقى غارقة في الماضي وذكريات زوجها الراحل، تحاول الأرملة أن تجد لها جماعة اجتماعية دينية فتذاكر بها حياة الصحابيات الأرامل لتضمّد جراحها وتضمن لها العودة إلى البداية الجديدة على ما يرضي ربنا ونبينا. وهذه ليست مسؤولية الأرملة وحدها بل مسؤولية المجتمع كله، فالأرامل تكثر في هذه الأيام لأن الأمة الإسلامية ابتليت بحرب من أعداء الله في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية كلها.

3. الاشتراك في الأعمال الخيرية

من أفضل المجالات بأن تشغل فيها الأرملةُ نفسها فتنسي ماضيها القاسي، الأعمالَ الخيرية تحت المؤسسات التي تعمل من أجل إصلاح أحوال المساكين والفقرآء، بهذا سوف تحصل على راحة البال وسعادة الروح، كما قال تعالى: ("وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ")[13].

4. إعادة مكانتها الاجتماعية، والاعتراف بحقها في اختيار الحياة الاجتماعية:

فلقد اعترف الإسلام بحق المرأة في اختيار الزوج من جديد، وأن من حقها أن تستأذن في هذا الأمر، وأن لا يتم تزويجها دون إذنها أو إخبارها، وهذا يتضح من حديث ابن عباس—رضي الله عنهما—":الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ

تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا."[14]، وفي هذا دلالة قاطعة على أن الأرملة هي صاحبة الرأي الأول والأخير في نفسها، وهذا نوع من رفع شأن المرأة الأرملة في الحياة الاجتماعية القاسية.

يضاف إلى ذلك أن الإسلام منحها مكانة خاصة في باب الاستشارة فاعتبرها أهلا للاستشارة في الأمور الاجتماعية، وأن ليس من حق من حولها أن يفرضوا عليها رأيهم، وقد ورد في حياة رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– بصورة عملية هذه الصورة الرائعة للأرملة الموقرة حيث ورد أن الخنساء بنت خدام الأنصارية –رضي الله عنها– زوجها أبوها دون إذنها، وهي لم تكن راضية، فجاءت إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهي أرملة، فرد –صلى الله عليه وسلم– نكاحها[15]..

ثانيا: حلول المشاكل الاقتصادية

ذُكر سلوك النبي– عليه الصلاة والسلام– تجاه الأرامل واليتامى من خلال الحديث القولي، كقوله – صلى الله عليه وسلم– **"السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهدِ في سبيل الله، أو كالقائم لا يَفتُر، أو كالصائم لا يُفطر"**، [16]ومن خلال حياته العملية المليئة بالإحسان إلى الأرامل، فلقدكان يد المساعدة للأرامل واليتامى. ويشجع سلوكه الحسن المسلمينفردا وجماعة، حكومة وشعبا على كفالة الأرملة وأيتامها في كل المعاني الاجتماعية والاقتصادية.

فيمكن استخراج بعض الحلول حتى يتّبع أفراد الأمة سنة من "يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجته"، وبالتالي يستحق أن يكون "كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل"– كالتالي:

1. **مسؤولية الحكومة والهيئات**

يجب على الدولة الإسلامية –والتنظيمات والهيئات إن كانت موجودةً – أن تقدّم الدعم المالي للمرأة التي تفقد زوجها بدون تأخير؛ فهذا أسهل ما يمكن أن تخفف عليها وطئة الكارثة وأن تمنح القوة الكافية لتواجه وتغطّي الركود والأزمة.

2. **إيجاد العمل المناسب**

سواء تجد الأرملة الكفالات أو لا تجد من الأفضل أن تبحث عن عمل لها إن كان لديها ما يؤهلها للعمل، فالشريعة الإسلامية تسمح لها أن تعمل عملا يتناسب مع خبرتها لتغطّي المصاريف بنفسها في تربية الأولاد والضرورات الأخرى. الإسلام لا يستريح لعمل المرأة في الخارج ويكرهأنْ تَصْرِفَ كل طاقاتها في العمل فتعود إلى البيت مرهقة مكدودة الأعصاب.

وهذا كله للحفاظ على صحتها لتقوم بدورها الغالي في داخل البيت كالأم الحنون التي لا تتعب عما يشغلها في سبيل خدمة الزوج وإدارة شؤون البيت وتربية الأطفال؛ فإذن الإسلام لا تسلب حرية المرأة للعمل إن كانت ضرورة لا منجاة منها، وليس هذا فحسب، بل نرى أن الإسلام في الأعمال النسوية الخالصة: التدريس والتمريض والتطبيب للنساء.. فهو لا يجيز العمل فقط، بل يفرضه فرضا كما يفرض التجنيد العسكري على الرجال""[17].

إذن تستطيع الأرملة أن تخرج في البحث عن لقمة العيش والإسلام لا يمنع عن ذلك لكن مع الحفاظ على كرامتها وعزة نفسها وشرفها، "فإن المشكلة في الشرق الإسلامي ليست مشكلة النظام وإنما هي مشكلة الفقر الشام الذي لا يجعل للمرأة –ولا للرجل – موارد كريمة للعيش وعلاج ذلك زيادة طاقة الإنتاج حتى يغني الشعب كله برجاله ونسائه، فلا يكون فيه فقرآء، وليس علاجه أن تزاحم المرأة

الرجل على وسائل الحياة"[18] وفي هذا العصر الحديث المتطور توجد أعمال كثيرة يمكن أن تعملها المرأة باقية في دائرة شرعية إضافة إلى الأعمال التي كانت تقوم بها قديما مثل الأعمال اليدوية؛ كالحياكة والخياطة والزخرفة وغير ذلك.

3. تقسيم الميراث

أما في مشكلة إجراءات الميراث فالقرآن واضح جدا حيث قال تعالى: ("وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيّةٍ يُوْصُوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ")[19]،فعلى المؤسسات المسؤولة بتقسيم الميراث أن تراعي وتحافظ حقوق الأرملة وأيتامها.

ثالثا: حلول المشاكل النفسيّة

1) استشعار معية الله وعونه:

وقد أخبر النبي-عليه الصلاة والسلام-أن المراةَ التي فقدتْ زوجها وعمدتْ إلى تربية الأطفال، وكرّست نفسها وحياتها لأطفالها اليتامى عن أعظم ما سوف تحصل من الأجر والإنعام يوم القيامة، فقال-عليهاالصلاةوالسلام-: "أنا أول من يفتح له باب الجنّة إلا أنه تأتي امرأة تُبادرُني، فأقول لها مالك؟ وما أنت؟ فتقول: أنا امرأةٌ قَعدْتُ على أيتام لي"[20]

وهذه المبادرة تدل على المقام الرفيع للمرأة التي انكبّت على تربية أطفالها كما قال ابن حجر -رحمه الله-:

"قوله "تبادرني" معناه: لتدخل معي أو تدخل في أثري، ويتحمل أن يكون المراد مجموع الأمرين للدلالة على سرعة الدخول وعلوّ المنزلة".[21]

وهذه الأرملة إذا صبرت وحفظت عرضها لها شفاعة النبي-عليه الصلاةوالسلام-كما روى عوفُ بن مالك الأشجعي-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-عليه الصلاةوالسلام-: "أنا وامرأة سفعاء الخدّين[22] كهاتين يوم القيامة — وأومأ بالوُسطى والسبّابة — امرأة آمت[23] من زوجها ذات منصبٍ وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا[24] أو ماتوا."[25]

كم من الناس من يشتاق إلى معية رسوله يوم القيامة وكم من الناس من يريد أن يبادر إمام الأنبياء إلى جنة الخلد في السماء! لكنها الأرملة! الأرملة -التي تحبس نفسها من أجل تربية الأيتام لها- تستطيع أن تتشرف بهذه المعية المباركة إن استطاعت أن تلازم الصفات المذكورة.

2) الصبر والجلد على البلاء:

لصعوبة تحمّل البلاء في الدنيا وعد الله- سبحانه وتعالى- عباده بأجر عظيم وعطاء كريم في كتابه العزيز وعلى لسان حبيبه صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ("وَلَنَبْلُوَنّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ وَالثّمَراتِ وَبَشّرِ الصَّابِرِينَ الّذينَ إِذَا أَصَابتْهُم مُصيْبَةٌ قالوا إنّا للهِ وَإنّا إلَيهِ راجِعُونَ")[26]فهذه المفاجعات ليست للإنسان قصدا لإيلامه بل ليكسب فيها معية الله- سبحانه وتعالى-كما قال تعالى: ("واصْبِرُوا إنّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ")[27] وقال تعالى في مقام آخر: ("اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبّكَ فَإنّكَ بأَعْيُنِنا")[28].

من الواضح أن تلقين الصبر من الله- سبحانه وتعالى- عباده بهذه الوفرة يدلّ على عَظَمةِ أمره في الدنيا وجزالة عطائه في الآخرة. فموت الزوج لا يعني نهاية العالم، ولا يجب أن تيأس المرأة من الحياة، فالصبر والإيمان بالله والاحتساب على وعوده جلَّ وعلا يقوي

العزائم ويملأ القلب بالطمآنينة والراحة، كما يجب أن تفهم الأرملة أنه ("لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها")[29]، وأنه لا يبتلي من لا يستطيع تحمّل المتاعب والصبرَ على المآلم والمكاره، مما يوحي إلى عظمة منزلة الأرملة عند الله– سبحانه وتعالى–.

ومن مسؤولية أقارب الأرملة تلقين عدم البكاء والصراخ على سنة الجاهلية، ولما توفي أبو سلمة– زوج السيدة أم سلمة– رضي الله عنهما– طلبت امرأة لتساعدها على بكاء عظيم كما جرت العادة في الجاهلية، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أتريدين أن تُدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله منه؟ مرتين، فكفت عن البكاء ولم تبك.[30]

3) التوكل على الله:

الحياة كلها تعب وصمود وجهاد سواء كانت لأمور دنيوية أو لمقاصد أخروية، لذا من الأفضل أن يتحمّل الإنسان المآلم والمصائب ابتغاءً لوجه الله، وأن يتوكل عليه في كل ما يقدم عليه وما ينزل به إيمانًا بقدر الله العزيزالحميد وعملاً بقوله تعالى في عزيز كتابه: ("وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه")[31]، وقوله تعالى: ("وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الـمُؤْمِنُوْنَ"[32] وكما رُوي عن عمر– رضي الله تعالى عنه– أنه قال: "سمعت رسول الله يقول: "لو أنكم توكلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصًا وتعود بِطانًا"[33]، فلا تعتمد المرأة الأرملة على أحد، ولا ترجو التعاون والمساعدة إلا من الله الخبير القادر على كل شيء، وليس هذا بعيدا عن الطاقة البشرية.

كما نجد في سيرة الصحابة والصحابيات– رضي الله عنهم أجمعين– نماذج مميزة للتوكّل على الله جلّ وعلا، عندما توفي زوج أم سلمة– رضي الله عنها– جاءها النبي– عليه الصلاة والسلام– يُعزيها في وفاة زوجها وعلّمها دعاء وقال قولي يا أم سلمة: "اللّهُمّ أجُرْني في مصيبتي واخْلُفْ لِيَ خيرا منها"[34]فدخلتْ في العدة،وصبرت وتوكلت على الله، فما انتهت عدّتها حتى خطبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فَبَيْنَما هي تراجع نفسها جاءها البشير بأن رسول الله– عليه الصلاة والسلام– يخطبها.

4) الرضا بالزواج ثانيا:

من المعلوم أن الزوج لا يُنسى بعد مماته والشريعة لا تشجع على نسيانه، وديننا علّمنا أنها عِشْرَةٌ كبيرةٌ بين الرجل وزوجته وبين الزوجة وزوجها، فما ينبغي أن تنسى لمجرد أن أحدهما فارق الحياة، ولكن ليس معنى ذلك أن تظل المرأة حزينة كئيبة لموت زوجها، هذا مرفوض شرعا ولا يرضي ربنا ولا نبينا، يمكن ويجوز للمرأة أن تذكر زوجها بدعوات طيبة صالحة كما وجدنا هذا في حياة النبي– عليه الصلاة والسلام– أنه كان ذاكرا لجميل خديجة– رضي الله عنها– عارفًا بقدرها حتى انتقاله إلى جوار ربه جلّ وعلا[35].

لذا الأفضل للأرملة أن ترضى بالزواج ثانية—بعد إكمال العدة–وإن كانت تصبح به الزوجة الثانية لرجل صالح وفيّ العهد طيب القلب، وهذه أفضل الطرق لتجد بها سبيلا للرجوع إلى الحياة الطبيعية، خاصةًإذا كانت الأرملة في مقتبل العمر، أوإذا كانت عندها أطفال صغار بحاجة إلى من يرعاهم، ويحل محل الأب لهم، فالأفضل أن تتزوج للحفاظ على مصلحة أبنائها الصغار بمن يتحمّل مسؤولية تربيتهم، ويعرف معاملتهم بلطف وإحسان، وهذا هو الذي قال عنه النبي الكريم– عليه الصلاة والسلام–: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله. وقال أبوهريرة– رضي الله عنه–: أحسبه قال– عليه الصلاة والسلام–: "وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر"[36]

وتفرض الشريعة عليها أنتبقى يداً مساعدةً لزوجها في كل صغيرة وكبيرة، فلا تدع الزواج الثاني يؤثّر بالأطفال سلبيا فتحطّم بالغفلة عنهم حياتهم وتدمّر مستقبلهم، فلأنسب أن تنسى ما مضى من المصائب والآلام وتُـقْبِلَ على ما هو قادم فتصبح أمًّا حنوناً وزوجةً سعيدة راضية بقدر الله.

النتائج:

توصلت دراسة مشاكل الأرملة وحلولها في ضوء السيرة النبوية من خلال ثلاثة مباحث إلى النتائج الآتية:

- الأرملة جزؤ المجتمع المهم، حالها تؤثر على المجتمع إيجابيا وسلبيا.
- في المجتمع الإسلامي، الأرامل تعاني من مشاكل نفسية، واقتصادية، واجتماعية.
- الإسلام يحث على مساعدة الأرامل في جميع الحالات وحياة النبي- عليه الصلاة والسلام- خيرُ دليلٍ على هذا.
- لقد وعد النبي- عليه الصلاة والسلام- في الأحاديث النبوية على مساعدة الأرامل بأجر عظيم في الدنيا والآخرة.
- لقد وجدت في البحث بأن حلول مشاكل الأرملة تقتضي جهدا شاملا من الأرملة نفسها، والمجتمع المسلم والحكومة الإسلامية. وهذه الحلول تشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.
- على الأرملة الصبرُ والجلدُ على ما قدر الله، وعلى المجتمع المسلم أن يساعدها في تربية أولادها وأن يقدّم لها المساعدة المعنوية التي تحتاج المرأة في وقت الشدة، وعلى الحكومة أن توجد لها عملا مناسبا لتكسب منه قوت يومها أو تمنحها منحة تكفي لحوائجها.

هذه هي الأعمال والخطوات التي إذا قمنا وقامت الأرملة بها، غلبتْ على معظم ما تواجهها من الصعوبات التي أحيانا لا نكاد نجد لها حلاّ ملائما. أسأل الله أن يوفقنا لمساعدة الأرامل فنُصبح ممن وصفهم النبي- عليه الصلاةوالسلام- بالمجاهدة في سبيل الله. والله الموفق والمعين وبه نستعين

التوصيات:

1. إيجاد فرص العمل النسائية المنتنوعة في المجتمع، وتوسعة دائرة العمل النسائي خاصة في المجالات التي تخص السيدات في الحياة الاجتماعية، ويمكن أن تستفاد في هذا الصدد من كثير من الوسائل التقنية والإلكترونية.
2. فتح مراكز خاصة تهتم بالأرملة وتثقيفها وتعليمها، وتمكينها من عدد من المهن والمهارات النسائية النافعة في المجالات العديدة.
3. تخصيص ميزانية خاصة من قبل الدولة، أو المؤسسات المعنية بالمرأة ومشاكلها، وذلك لتنفق على احيتاجاتها المختلفة.
4. لم تحظ قضية الأرملة في الدراسات المفصلة في شكل علمي غير أن الأمر جدير بالدقة ويقتضي الدراسة والبحث. فيمكن أن يتناول الباحثون هذا الموضوع من النواحي المختلفة التالية على سبيل المثال:

- سلوك الأرامل في ضوء سيرة أمهات المؤمنين والصحابيات رضي الله عنهن.

- الدراسة الميدانية المقارنة بين مشاكل الأرملة في بلد إسلامي أو الذي يقنن بالشريعة الإسلامية وبين بلد غير إسلامي أو الذي لا يقنن بالشريعة الإسلامية.
- دراسة أنثروبولوجية والنفسية في حلول المشاكل التي يقدمها الإسلام والديانات أخرى.

الهوامش :

(1) لسان العرب، ابن منظور. المجلد الثالث، ص 1735. دار المعارف، القاهرة.

(2) وفيه خلاف يقال إنها تزوجت أولا بأبي هالة ثم بعتيق. انظر: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد: المثل الأعلى لنساء العالمين، إبراهيم محمد حسن الجميل. ص 51-52. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة. 1987م.

(3) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة البائن لا نفقة لها، رقم: 3713. دار السلام، الرياض. الطبعة الثانية 2000م.

(4) أخرجه النسائي في الجمعة برقم: 1414، والدارمي، في المقدمة برقم: 74، والحاكم في المستدرك رقم (671/2) برقم: 4225. تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمي بيروت، الطبع الأول ، ١٩٩٠م

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (62/7) برقم (5353)، باب فضل النفقة على الأهل. دار طوق النجاة، بيروت. 1422هـ.

(6) أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير، تحقيق:حمدى بن عبد المجيد السلفى ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٩٩4م، 20/ 152

(7) أخرجه أبو داود في سننه (236/4) برقم (2594)، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(8) أخرجها الحاكم، التعليق من تلخيص الذهبي،(هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ص: ٣٧٣٥)، 506/2.

(9) محاضرة صوتية بعنوان: حقوق مُضيَّعة، للدكتور أبي حاتم الحلبي، الدقيقة: 27. منشورة ضمن سلسلة الدروس الشامخة في الأشرطة السمعية.

(10) سورة آل عمران:200.

(11) سبق تخريجه في هامش الصفحة رقم 3.

(12) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٩٧4 م . ٨/ ٢٩٧

(13) سورة التوبة: 71

(14) صحيح مسلم2/ 1037.كتاب:النكاح.باب:استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت.رقم: (1421. (

(15) صحيح البخاري 2547/6.كتاب :الإكراه . باب: لا يجوز نكاح المكره. رقم: (6546. (

(16) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (421/18، رقم: 5038)، وفي كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة (2237/5، رقم: 5660)، وفي باب الساعي على المسكين (2237/5، رقم(**5661** :، ومسلم في الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم **8/221**)، رقم: 7659.(

(17) معركة التقاليد، الأستاذ محمد قطب، دار الشروق، مصر. 1967م. ص: 149-150

(18) شبهات حول الإسلام، الأستاذ محمد قطب، ط6، 1967م، ص: 148

(19) سورة النساء: 12.

(20) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (7/12) برقم (665).

(21) انظر: فتح الباري:لعلي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة -بيروت 1379 للهجرة ، 436/10

(22) أي في وجهها تغيير في ألوان البشرة وسواد وذلك لطول تأيمها مع عدم الزينة والعناية بالنفس. انظر الترغيب والترهيب (236/3)

(23) أي صارت بدون زوج: انظر الترغيب والترهيب (236/3)

(24) حتى بانوا: أي كبروا وحصلت لهم الإبانة بالزواج أو غيره: انظر الترغيب والترهيب (236/3)

(**25**) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، 29/6، برقم: 24052، وأبو داود في الأدب، برقم: 5149

(**26**) سورة البقرة: 155– 156.

(**27**) سورة الأنفال: 46.

(**28**) سورة الطور: .48

(**29**) سورة البقرة: 286.

(**30**) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم 2134. دار السلام، الرياض. الطبعة الثانية 2000م.

(**31**) سورة الطلاق : 3.

(**32**) سورة آل عمران: 122.

(**33**) سنن ابن ماجه (1394/2) برقم (4164).دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(**34**) صحيح مسلم (632/2) برقم (918). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(**35**) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم 6278، 6280، 6281. دار السلام، الرياض. الطبعة الثانية 2000م.

(**36**) أخرجه البخاري في صحيحه (62/7) برقم (5353)، باب فضل النفقة على الأهل. دار طوق النجاة، بيروت. 1422هـ